صليبا الدويهي

الأبعاد في البعد

"ايقونة الايقونة"

وتعادلية السطح واللون والفراغ

محمود الزيباوي

ولد صليبا الدويهي في العقد الاول من هذا القرن. احبّ الرسم منذ السنين الاولى من عمره، واقصر اليه بشغف واهتمام. حلم بالفن باكرا واختار احترافه في وطن يجهل عالم الفنون الجميلة ولا يعرف منها شيئا.

بدأ الدويهي دراسته في محترف حبيب سرور، استاذ الرسم في "المدرسة السلطانية العثمانية" الذي فتح ابواب مرسمه الخاص امام من اراد تلقي اصول المهنة. نحن في لبنان العثماني، في فترة وسيطة تعيش فيها الفنون الشرقية التراثية احتضارها وتتراجع متهاوية امام صعود اوروبا بفنونها وعجائبها. مع داود قرم وخليل الصليبي، يشارك حبيب سرور في انشاء هذا الفن "الجديد" وارساء بنيته الاولى: يرسم "البدوي"، "القديس مارون"، "الاميرة العربية" و"البطريرك الحويك"، اضافة الى بورتريهات كبار وجهاء الامبراطورية العثمانية، وقد ترك لنا مصطفى فروخ شهادة حول اعجاب الاتراك الشديد بأعماله الزيتية. في هذا المحترف "المعلّي" يخطو مصطفى فروخ، عمر الانسي وصليبا الدويهي خطواتهم الاولى في عالم الفن التشكيلي. اللوحات محلية، تاريخية، دينية في مواضيعها، مدرسية اكاديمية في اسلوبها، تحلم بالوصول الى البلاغة الكلاسيكية كما جسدها كبار فناني عصر النهضة في الماضي.

في محترف سرور ينتقل الدويهي الى باريس اثر حصوله على منحة من الحكومة اللبنانية للدراسة في معهد الفنون الجميلة. يكمل الفنان الناشئ في "مدينة النور" ما بدأه في لبنان ويبقى قريبا من الكلاسيكية، بعيدا عن كل ما عرفته باريس من حركات الحداثة بمذاهبها ومدارسها المتعددة. اثر تخرجه عام ١٩٣٦، يعود الفنان الى مسقط رأسه بعد محطة دراسية في روما. يرسم ويعرض ويشارك رفاق جيله في نشر ما يدعوه بالمرحلة "الفولكلورية". تستعيد الريشة المناظر الطبيعية والعادات الريفية بلغة اكاديمية تناجي الانطباعية من دون ان تبلغها. جبال ووديان ومضاب وبيوت حجرية يكسوها القرميد الاحمر. الى جانب المناظر الطبيعية، يصوّر صليبا المواضيع الدينية ويزيّن الكنيسة البطريركية في الديمان بسلسلة من الاعمال التشكيلية. يدخل الفنان الخط العربي ويلبّس المسيح وصحبه اللباس المحلّي، الاّ ان الاسلوب التشكيلي يبقى اكاديميا مدرسيا، بعيدا كل البعد عن الفنون التي تميّز بها الشرق المسيحي حتى نهاية القرن الثامن عشر.

اختبار واختمار

من المرحلة "الفولكلورية" ندخل المرحلة الوسيطة التي يصفها الفنان بالمرحلة "المختمرة". وحده بين فناني جيله، يتخطى الدويهي الاكاديمية البليدة، تلك التي تتمنّى نفسها وتتعثّر بين الكلاسيكية والاستشراقية والانطباعية، ليطرح تعادلية اللون والشكل والنور. يخرج الفنان عن الحدود الضيقة التي غرق بها مصطفى فروخ، قيصر الجميل، عمر الانسي ورشيد وهبي ليشارك جيل الخمسينات في طرح الاسئلة التشكيلية الحديثة. على خطى سيزان، يتجه الفنان نحو التسطيح معيدا عناصر الصورة الى هيكليتها الهندسية فيوحد الابعاد من دون ان يلغيها. الطبيعة الملموسة تبقى حاضرة، الاّ ان الرؤية تتغيّر جذريا. "مصمما" ما تراه العين، يتجاوز الرسام حدود المحاكاة ويعيد تأليف الصورة. يتراجع التجسيم والتظليل وتحلّ المسافات اللونية الصافية. "الالوان تتزاحم بين مدّ وجزر"، يقول الدويهي، "تدفع وتجذب بعضها البعض بصورة مستمرة جاعلة من اللوحة صورة حيّة". ينطلق

"دواليب بشرّي".